مناقشات

« العالم ليس عقلا » ايضا ...

بقلم عبد الله القصيمي

صادقا أشكر فضيله الاستاذ محمد جواد مغنية .

اولا : لانه حرص على ان يثبت انه قد قرأ كتابي « العالم ليس عقلا » ، وكان كريما جدا في حشده الدلائل على اثبات قراءته له .وهذا تشريف لي ولكتابي من فضيلة الشيخ افخر واعتز به .

ثانيا : اشكر فضيلته لانه اخيرا قد قرأ الكتاب القراءة التي كنت انتظرها منه ، ونقل عنه فقرات كثيرة باهتمام ظاهر وحماس لا شك انه قد اعجبني وسرني .

وثالثا : اشكره لانه خاف على العالم العربي من الكتاب . اذن لقد كان تقدير الاستاذ للكتاب وشعوره به عميقا وعظيما . انه يخشى على القارىء من الكتاب – معنى هذا ان الكتاب يعني شيئا غير عادي ، انه يحشاه على مجتمع يعيش تاريخا كاملا طويلا ضخما من التراثيل والعقائد والتقاليد والطقوس والاتجاه وكل ما في الغيب من رهبة وغموض ومخاوف راسخة ، محروسا باوسع واقوى الاجهزة الدفاعية الشاملة ، مع استعداد نفسي عنيد هائل للتمرد على التغير والارتحال الفكري والنضال ضد حوافز المستقبل ونبوءاته وانبيائه المارقين !

ان هذا تقدير لا تخفى دلالته ، قد اهداه الي والى كتابي رجل كبير ذو مكانة دينية واجتماعية محترمة .

رابعا : اشكر الناقد انه قد جاء مهذب الاسلوب ، متساميا فوق الاساليب الفاضبة القاذفة بكل ما في النفس من جراح ، محولة لها الى كلمات لم تعرف ان الانسان قد تحضر وتجاوز المرحلة التي يحول فيها لغته الى حجارة غير مهذبة – تلك الاساليب التي يتعامل بها في الغالب من يزعمون انهم يدافعون عن الله وعن الدين والقيم التاريخية، فيخرجون بذلك على الله والدين والقيم ، حيث يظنون انهم يدافعون عنها – يخرجون على الشيء باسلوب الدفاع عنه ! لقد جاء الاستاذ نموذجا لنظافة الكلمة والاسلوب وعفتهما ، فله التهنئة الراقصة !

***

وبعد هذا الشكر الخالص الذي يدينني به الاستاذ بجدارة تبقى لي على فضيلته عدة ملاحظات ..

الملاحظة الاولى :

يستنكر الاستاذ ان يصدر مثل هذا الكتاب في وقت تحاول فيه اسرائيل ارتشاف بعض المياه العربية الجارية في نهر الاردن .. وما معنى هذا الكلام ؟ معناه ان اسرائيل سوف تستطيع شرب المياه العربية لان هذا الكتاب قد صدر ، وانه لو لم يصدر لما كان ممكنا ان تشرب هذه الدولة قطرة من مياهنا العربية !

عجبا ! هل هذا كلام ؟ هل يمكن ان يصاب العرب بحالة لا اعرف ماذا أسميها ، فيحرموا على انفسهم كل تفكير ونقد وفهم للكون او الحياة او الانسان او التاريخ بحجة ان اسرائيل موجودة ، واسرائيل لا يمكن الانتصار عليها ولا قهر عدوانها الا بتحريم العقل بكل تعبيراته ؟ وهل نفهم من هذا ان كل الشعوب التي تنتصر على اعدائها لا تنتصر الا لانها لا تفكر ولا تجدد في تفسيرها للاشياء ولا تغير ازياءها التاريخية . وهل يمكن ان نفهم من هذا أن اسرائيل قد قامت في العالم العربي وان الاستعمار الغربي قد غزانا في القرن الماضي واوائل هذا القرن لانه كان فينا مفكرون ومجتهدون وناقدون وثائرون على قبورنا العقلية ، وان امثال هؤلاء المجتهدين الناقدين لو لم يكونوا فينا لما قامت اسرائيل ولما انتصر علينا الاستعمار ؟

عجبا ! هل هذا كلام ؟ اني باخلاص لانزه الاستاذ من القول بمثل هذا الكلام .

الملاحظة الثانية :

يقول الاستاذ الناقد : « لقد تخلفنا في مضمار الحضارة وسبقنا غيرنا . والسر كل السر يكمن في وجود هؤلاء المتبطلين المشككين في القيم والتراث والاهداف وبكل ما يمت الى صلاحنا بصلة » .

معنى هذا الكلام انه يوجد اليوم في الدنيا عالمان : عالم متحضر متفوق ، وعالم متخلف مسبوق حضاريا وانسانيا .. العالم الاول هو الغرب وقد تحضر وسبق وانتصر لانه لم يوجد فيه من يشكون ولا من ينقدون الحياة والكون والانسان والقيم ، ولا من يحتجون على الالام والاخطاء التي تسحق البشر وتشوه الوجود ، ولا من يقولون بعبثية الاشياء .. اما العالم الاخر فهم العرب او المسلمون وامثالهم .. وقد تخلفوا وسبقوا في التحصيل الحضاري . وسبب ذلك انه قد وجد فيهم كثيرون من هؤلاء المفكرين والمحتجين والناقدين للالهة والاديان والكون ولدل الاشياء وللاكاذيب التاريخية او القيم التاريخية التي يقع التحديث عليها كثيرا ولا يقع السلوك عليها ابدا – نعم سبب تخلف العرب والمسلمين وعجزهم الحضاري هو انه قد وجد فيهم كثير من امثال مؤلف « العالم ليس عقلا » – هؤلاء الاشقياء الهراطقة الذين يزحمون بكثرتهم الافق ويمنعون غيرهم من المؤمنين المسالمين ان يجدوا لهم مكانا في العالم العربي او الاسلامي في هذا العصر وفي جميع العصور..اما الغرب الذي صنع الحضارة والتقدم والرخاء ومنح الانسانية كل علومها وتطورها العظيم فقد وقاه الله من هؤلاء المفكرين المخربين الذين بالغ القدر جدا في تضخيم نصيب العرب منهم !

عجبا ! هل هذا كلام ؟ وهل يطيق الاستاذ الناقد ان يرى الصورة على هذا النحو ، او يقرأ التاريخ بهذا الذكاء ؟

الملاحظة الثالثة :

يركز الناقد المحترم على الزعم الذي يجد شهوة في تكريره ، وهو ان الصحافة والكتاب في لبنان قد اهملوا الكتاب لانهم قد ادركوا انه كتاب هدام ، يخشى منه على الفكر العربي ، لهذا لم ينقدوه او يذكروه او يشيروا اليه بخير ..

ولكن كيف ! لقد اشادت اغلب الصحف اللبنانية او كلها بالكتاب– كذلك فعل الكتاب والمفكرون . ومن المستبعد ان يكون كل ذلك قد خفي على الاستاذ الناقد ..

ان الاستاذ ميخائيل نعيمة قال عن الكتاب : انه اعظم كتاب صدر عن اللغة العربية في قديمها وحديثها ، وانه اكبر دليل على عبقرية المؤلف، وانه لم يسبق ان تكلم عربي هكذا قوة وصراحة وبلاغة وجرأة وعمقا .. وقد نشرت اكثر الصحف اللبنانية اقوال نعيمة هذه . وقال الاستاذ قدري قلعجي في جريدة الكفاح اليومية : ان في الكتاب فصولا قل ان يوجد لها مثيل في الشرق او الغرب وان الدارس لهذا الكتاب يحتاج الى عدة سنوات ليستطيع ايفاءه بعض حقه من الدراسة .. وقال الاستاذ جورج جرداق في جريدة الحياة : انه كتاب لا شبيه له في اللسان العربي ، وان امثاله في اللغات الغربية لقليل – قال : وحكمي على من لا يقرأ هذا الكتاب ان يصفع – ثم قال : واني لارجو ان يصبح العرب هم وابناؤهم في يوم من الايام جديرين بان يكونوا مواطنين لمؤلف هذا الكتاب ! . وقال الاستاذ احمد سويدان في مجلة العلوم :ان الكتاب اقوى من جميع الثورات التي تقع في العالم العربي ، بل انه لاكبر من اية ثورة ، وانه اعظم كتاب فكرة يصدر في العصر الحديث ، قال:والعيب الوحيد لهذا الكتاب انه قد جاء في مجتمعات هي اصغر منه كثيرا وهو اكبر منها كثيرا .. وقال الدكتور صلاح المنجد في جريدة الحياة : انه كتاب قل ان تخرج المطابع مثيلا له ، وان مؤلفه في سطوع افكاره وعمقها

وجدتها لعبقري فذ ، وانه لو صدر في بلد مزدهر فيه الفكر لضجت الصحف بدراسته والنقل عنه .. وقال الاستاذ رمضان لاوند في جريدة صوت العروبة لسان حزب النجادة ذي الاتجاهات القومية العربية الوحدوية الناصرة للجمهورية العربية المتحدة : ان الكتاب مجهود فكري ضخم ، وانه يحوي افكارا ضخمة مثيرة للدهشة والعجب والانبهار .. وقد أقيمت في دار الحزب مناظرة حول الكتاب ونشرت المناظرة في صفحة كاملة من الجريدة ..

وقالت امثال هذه الاقوال عن الكتاب جريدة الانوار والسياسة وبيروت المساء ، وهي كلها جرائد ناصرة للجمهورية العربية المتحدة ، وعدت الصحف اللبنانية الاخرى مثل ذلك .

فكيف اذن يمكن الزعم بان الصحافة اللبنانية والكتاب اللبنانيين قد رفضوا الاحتفال بالكتاب او الاهتمام به لانه كتاب خطير وضار وضد مستقبل العرب !

ثم اذا كان الامر كما ذكر فضيلة الاستاذ من خطر الكتاب فكيف يجاز للمحررين والكتاب اللبنانيين الصمت عنه او عليه ؟ ان الواجب عليهم حينئذ ان يعلنوا حربا وقائية ضد الكتاب لحماية الانسان العربي من شروره ومخاطره كما اعلن هو عليه مثل هذه الحرب ! واذا كان الاستاذ يرى ان من المصلحة الا يهاجم الكتاب لان مهاجمته تثير الاهتمام به ، وان افضل مقاومة له هي الصمت عنه فلماذا اذن لم يفعل الاستاذ هذا الشيء الذي هو الافضل ، لماذا هاجمه فاثار الاهتمام به ، لماذا لم يفعل في هذه القضية ما فعله الاخرون الصامتون عنه ؟ وهل يحتمل ان الاستاذ ينفذ خطة دعائية للكتاب جاءت في صورة الهجوم عليه ، هل يحتمل ان الاستاذ معجب ومؤمن بالكتاب وانه قد اختار اذكى واقوى واخفى الاساليب الدعائية لنشر الكتاب وتقديمه الى القارىء العربي ؟ اني لارجو ان يكون هذا هو الذي في قصد الاستاذ ، اذ انه هو الجدير به ، وليس من اللائق ولا من المعقول جدا ان استاذا ذكيا وتقدميا ومحترما مثل الناقد يكون خصما لمثل هذا الكتاب !

لقد اشرت انا بعيد صدور الكتاب الى ان الادباء والمفكرين لم يهتموا به الاهتمام المنتظر المفروض في كتاب يحمل القضايا الخطيرة المثيرة التي يحملها هذا الكتاب ، وكنت ارى ان هذا نوع لا يحتمل من التقصير والتراخي ازاء شيء يصنع الحماس والتوتر .. ولكن الموقف بعد ذلك قد اختلف ، فلقد اهتم الكثيرون من النقاد والمفكرين بالكتاب. فكيف خفي كل ذلك على استاذ بحاثة نشيط مخلص مثل الشيخ محمد جواد مغنية فبقي مصرا على ان الكتاب لم يهتموا بالكتاب ؟

الملاحظة الرابعة :

لقد نقل الناقد فقرات عديدة من الكتاب بامانة مع بعض الاخطاء المطبعية ومع عزلها عما قبلها وعما بعدها . وقد افترض الاستاذ ان مجرد نقل كلمات من الكتاب كاف لافتراضها خاطئة ضالة خارجة على الحق الذي يزعم الجميع انهم ينشدونه ولا ينشدون شيئا سواه ، وكاف لافتراض الكتاب هداما شريرا معاديا لمن يبحثون عن الله وعن القوة والخير ! ولكن كيف اقتنع بهذا الافتراض ؟ اليس من المحتمل ان يكون نقل هذه الفقرات كافيا لاقناع القراء بها وبالكتاب ، وانها قد تصبح اسلوبا من اساليب التدليل غير المقصود او المقصود على قيمة الكتاب ، ونوعا من الدعوة اليه والتبشير به ، وليست ردا عليه ولا اساءة اليه ؟ لقد نقل الاستاذ عبارات من الكتاب مفترضا ان القارىء سيراها باطلة ! ولكن كيف افترض هذا الافتراض ؟ هذا هو السؤال .

اذن المطلوب من القاضي المحترم ان يثبت مشكورا بطلان الافكار والنظريات التي حوتها الفقرات المنقولة في تعليقه . وهذه هي رسالته بافتراضه ناقدا ، وهي كذلك رسالة كل ناقد .

الملاحظة الخامسة :

يذكر الاستاذ الصديق ان في موضوعات الكتاب وافكاره خدمة للاعداء . ومن المحتمل انه قد اشار باسلوب خفي الى هذه التهمة ، والى انها تهمة متفق عليها بين الكاتب والاعداء ، وان الكاتب قد اخذ ثمن ذلك .. نعم ، هنا احتمال قد يكون بعيدا او خفيا بان الناقد قد اراد تقرير هذه التهمة او مغازلتها من بعيد ولكن بنوع من الشهوة الحادة .. وانا لا اجرؤ على تيقن ذلك او ترجيحه ولكنه يبقى احتمالا. وقد زعم بعض القراء ان هذا تلميح ظاهر .

فان كان الامر كذلك فاني استطيع ان اقول للقاضي ان هذه تهمة غير مستقرة المكان ، وان من الممكن جدا نقلها من موقع الى موقع ، ومن هذا الجانب الى الجانب الاخر ، ورفعها عن المتهم ليلقى بها على صانع الاتهام ..

من الممكن القول بان الذين يرفضون افكار الكتاب ويعادونها وينادون بافكار مضادة هم الذين يخدمون الاعداء وهم الذين يأخذون الثمن لانهم يعملون على ابقاء شعوبهم في جهالاتها وغبائها المبارك القديم الذي جلب لها التأخر والضعف والهزيمة والاستسلام للاعداء وللطغاة المستغلين المستذلين ، كما يعملون بافكارهم المتحلفة وبمقاومتهم للافكار الجديدة على منع هذه الشعوب من التغير والتطور العظيم . فالتغير ضد الاعداء والاستغلال والطغيان ، والجمود على ما كان من الافكار والمذاهب والتقاليد مفيد للاعداء وللمستفيدين من الاستغلال والطغيان .

ان الاعداء حينما جاءوا الينا وانتصروا علينا كنا مثاليين في المحافظة على جمودنا العقائدي والعقلي ، ولم يكن يوجد بيننا احد من الزنادقة الكبار ، لم يكن يوجد بيننا حينئذ من يعرفون شيئا من هذه الافكار، ليس فينا حينذاك من يفكرون بمثل الافكار التي جاء بها كتاب « العالم ليس عقلا » ليس فينا من كتب هذا الكتاب في ذلك الزمان البعيد .. لقد كنا نؤمن بالقبور ، بكل القبور فقط . كانت القبور هي اذكى واعظم كتبنا ومعلمينا ، كانت لنا اردأ القبور لا اعظمها !

اما اعداؤنا الذين انتصروا علينا وابدعوا الحضارة وملكوا كل القوة فقد كانوا متمردين على كل شيء ، وكانوا يعلنون تمردهم ، يكتبونه وينشرونه ويدعون اليه دون ان يخشوا عقابا او سبابا او اتهاما .. ان الشعوب المغلوبة المتأخرة هي التي تعادي امثال هذه الافكار ولا يوجد بينها من يبدعها او يفهمها ، اما الشعوب المتقدمة القوية النافية لكل اعدائها فانها هي التي تصنع هذه الافكار وتفهمها وتؤمن بها وتتلقاها بترحيب ومصافحة !

ان في اسرائيل وبين اليهود الان وفي كل وقت من يكتبون وينشرون كتبا لو كتب واحد منا واحدا منها لحوكم بتهمة الخيانة او لرجم في الطرقات الضيقة !

اذن فالجامدون على ما كان هم الخليقون بان يكونوا عونا للاعداء وعملاء لهم ، لا الثائرون على ما كان ولا الباحثون عن الجديد .

ومع هذا فاني اعتقد ان مثل هذا التخريج او الاتهام هما ضد الذكاء والاخلاق ، واني لارفض ان يكون الاستاذ الناقد من الذين يرتضون لانفسهم ان يشهروا مثل هذا السلاح وارتفع بمستواه عنه ، كما ارفض لكلا الجانبين ان يتفاهما بهذه التهمة الغبراء، لانها اولا ظلم، وثانيا ضد الوقار والاخلاق ، وثالثا لانها خروج على الذكاء .

واني في الختام لاشكر الصديق الناقد اصدق الشكر واتمنى له المزيد من التوفيق والحماس في نصرة الحق والبحث عنه ومن الرفق بالضالين الخاطئين !

عبد الله علي القصيمي

طبعت على مطابع :

دار الفكر للطباعة والنشر

تلفون : ٢٢٢٩٢١

رسالة الى مطاع صفدي

بقلم صلاح عيسى

اخي الاستاذ مطاع صفدي

اشرت يا اخي ، في نقدك لابحاث عدد فلسطين ، الى دراستي «في اصول المسألة الفلسطينية» اشارة سريعة ، ولكنها عميقة الدلالة، الامر الذي يدفعني الى ان اوضح بعض ما رأيته ابهاما وغموضا في تلك الدراسة ، وان اجيب على الاسئلة التي وجهتها الى ، وفاء لامانة البحث ، وتحملا لمسئوليته :

١ ـ تساءلت يا اخي عن الدافع الذي دفعني الى تفنيد الحل الديني للمسألة الفلسطينية ، وهو سؤال تحمل الدراسة اجابة عنه ، فقد اشرت الى ان « التفسير الديني » ، هو الذي يحاول تفسير المسألة باعتبارها « مسألة اسلامية » وليست مسألة صراع ضد الاستعمار،وهذه وجهة نظر لا اعتقد انك تنكرها . فان الحركة الصهيونية لم تقم لكي تهدم الاسلام وتقضي عليه ، حتى تكيف المسألة الفسطينية هذا التكييف. والتاريخ المعاصر ، يعلم ان زمن هذه الحروب قد انتهى ، وان هموم العالم المعاصر ، ليست كهموم العالم القديم !!

ولقد اشارت الدراسة الى ثلاثة اخطار تتعرض لها المسألة الفلسطينية اذا ما فسرت تفسيرا اسلاميا ، اولها « ان الفهم الديني يخلق للشعوب العربية وللشعب الفلسطيني بالذات حلفاء وهميين فهو يضع في صفه ٤٠٠ مليون مسلم » واعتقد انك توافقني على ان الدول الاسلامية المرتبطة باحلاف استعمارية مثل باكستان وايران ، وعراق نوري السعيد ، لا تعد حلفاء لنا في كفاحنا ضد الصهيونية ، رغم اسلاميتها وعروبتها احيانا .. وثانيها « ان هذا الفهم يعزل قوى الشعب الفلسطيني غير المسلم عن النضال » وقد دللت على هذا من اقوال السيد امين الحسيني مفتي فلسطين السابق ، وثالثا « ان هذا الفهم يعزل القوى المعادية للاستعمار سواء أكانت دولا او قوى اجتماعية داخل دول المعركة » واعتقد انه اذا وضعت المسألة باعتبارها مسألة اسلامية فان هذا التكييف يعزل اكثرية الشعب اللبناني نفسه عن المعركة ، فان القول بانها « معركة المسلمين » يعزل المسيحيين جميعا عن المعركة !!

لقد فات عليك ـ في استفسارك الاستنكاري ـ انني عنيت بالفهم الديني للمسألة « التفسير الاسلامي لها » فرحت تسألني « اذا ما قام العامل الديني الاسلامي والمسيحي كرد فعل له قيمته الواقعية في المعركة ضد الصهيونية وتجسيمها المادي في اسرائيل هل نحن مضطرون لوصفه بانه عامل تعصب ؟! » .. واقول ان العامل الاسلامي والمسيحي لم يشتركا معا في هذه المسألة ، فهذه نقطة لم اشر اليها ، وثانيا فان علينا ان نفهم طبيعة القضية فهما سليما ، ان نتفق اولا على تحليلنا للعدوان الاسرائيلي علينا ، هل هذا عدوان على الدين الاسلامي والدين المسيحي من قبل الدين اليهودي ، ام انه عدوان استعماري ، يتستر بستار الدين ؟! .. وما اظنك تجهل ان الدعاية الصهيونية ـ بذكاء استعماري ـ لا تتعرض على الاطلاق لمسألة عدائها للدين الاسلامي وللدين المسيحي ، ولا تكتبه ، ولا تقول به ، بل هي تصور اليهود مظلومين مضطهدين وأقلية باستمرار .. ، فاذا اتفقنا على أنها عدوان ديني ، بدأنا ننظم صفوفنا ، فنستبعد كل من لا يشاركنا في الدين ، لانه لم يقع عليه عدوان ، فلماذا ننتظر تأييدا من نهرو البوذي ، او خروشوف الملحد ، او اي من هؤلاء الذين لا ديانة لهم ؟! وبعد ذلك نحدد اعداءنا فنعتبر كل يهودي عدوا، سواء أكان يهوديا مصريا ام سوريا ام لبنانيا .. ونطرده من بلادنا ..

واود ان اروي لك يا اخي ـ بعض ما قد لم يصل اليك من تاريخ مصر ـ لقد استغلت الجمعيات الدينية الاسلامية السنوات الثلاث السابقة على الحرب الفلسطينية في تحويل العداء ضد الصهيونية الى معركة تعصبية ، هددت كيان مصر نفسها ، فسارت مظاهرات الاخوان المسلمين في شوارع القاهرة تهتف بصوت مبحوح « اليوم يوم الصهيونية .. وغدا يوم النصرانية » (١) ثم قامت هذه الجمعيات باعمال الارهاب لقتل اليهود المصريين ، فنسفت حارة اليهود ، ونسفت شركة الاعلانات الشرقية ـ لان اصحابها يهود ، ونسفت محلات داود عدس لانه يهودي (٢) وصحيح ان الصهيونيين في فلسطين كانوا يرتكبون الفظائع ضد العرب هناك ، ولكن اما كان الاجدر بهذه الجمعيات ان تقدم معونتها للشعب الفلسطيني ، وان تسأل حكوماتها عن السبب الذي من أجله تسكت عن الخطر الصهيوني ، ولكن الاخوان المسلمين في تلك السنوات كانوا على وفاق مع الملك ، بعد أن قابله مرشدهم ، وبدلا من ان يعلنوها على الشعب . ان حكومة مصر ، وملك مصر ، يسكتان عن الخطر الصهيوني لانهم جميعا ـ الحكومة والملك والصهيونية ـ عملاء للاستعمار كانوا يقتلون اليهود المصريين ، وكل ذنبهم انهم يهود .. ولعلك تعلم ان في مصر الى اليوم يهودا ، وقد جاء اليها الكاتب الامريكي المر برجر رئيس المجلس الامريكي لليهودية ـ وهو المجلس الذي يتزعم الدعوة الى ان اليهودية دين لا قومية ويرفض اعتبار اسرائيل وطنا لكل يهود العالم ـ وقابل حاخامهم وكتب أن اليهود في مصر لا يعانون اي اضطهاد ، وانهم لا يوافقون على وجود اسرائيل ويعتبرون الدعوة الصهيونية دعوة مخالفة للتوراة ، وعقب مؤتمر القمة العربي ، اجرى الاستاذ عبد الله امام المحرر بروز اليوسف تحقيقا صحيا مع الحاخام اليهودي المصري « حاييم دويك » ، قال له فيه « ان الصهيونية ليس لها علاقة بالدين ، وتعاليم التوراة واضحة وصريحة انها ضد الاغتصاب ضد العدوان ... ضد المصالح الدنيوية ، وكل ما تفعله هذه الصهيونية تستتر وراءه

---

(١) هذا المزج بين العداء لليهودية وللمسيحية فيه رواية الاخوان المسلمين ، يمكن لك يا اخي ان تقرأ عنه بتفصيل واف في كتابين لكاتب مسلم ، واخر مسيحي ، الاول « مصريون لا طوائف » للاستاذ محمد جلال دار النيل للطباعة ١٩٥٠ ، والثاني للاستاذ الدكتور زعيب ميخائيل بعنوان « فرق تسد » ويمكنك ايضا مراجعة جريدة الاخوان المسلمين اليومية (١٩٤٦ ـ ١٩٤٨) وجريدة « مصر » المسيحية وخاصة مقالات الاب سرجيوس حول هذا الموضوع .

(٢) راجع الاخوان والارهاب ـ الناشر مصلحة الاستعلامات المصرية ١٩٥٤ .

صدر حديثا :

دراسات في الواقع المصري المعاصر

تأليف لطفي الخولي

الناشر ـ دار الطليعة ص. ب ١٨١٣

اهداف ومطامع .. ان النظم الصهيونية مضادة للدين اليهودي ، وانا لا اعرف الكثير عنها .. ولكني اعلم ديني جيدا .. انني مواطن عربي ، وعدو بلدي عدو لي ، وكل اليهود المصريون مثلي » (١) أن سوريا ولبنان والعراق ما زال بها يهود ، وهم يهود عرب ، !.. ولا ارغب ان تتحول تلك يا اخي الى سلاح تتباهى به الدعاية الصهيونية ، كما تباهت بجرائم العصابات التي شكلها الاخوان المسلمون لفئتهم ..!

***

٢ ـ والنقطة الثانية التي ناقشتها هي ادانتي للرؤية الشوفينية ، وتسألني يا اخي مطاع « متى تنتهي حدود القومية في هذه المسألة ومتى تبدأ حدود الشوفينية » فانت لا تدري « ان كان الكاتب يعتبر ان القومية العربية وفي هذا النطاق بالذات هي شوفينية ام لا ؟ »

وانت ايضا « ان كان الكاتب يعتبر القومية العربية في مضمونها الاشتراكي التقدمي شوفينية أم لا ؟ »

ولا اشك في انك تعلم جيدا الفرق بين الشوفينية وبين القومية ، فكاتب جاد مثلك له عدة بحوث ، واعمال ادبية قيمة ، لا تقصر ثقافته عن ادراك الفرق بين الشوفينية وبين القومية ، ولقد حرصت في الواقع على ان استخدم المصطلح باسمه الاجنبي رغم انني لست من هواة الكلام باللغات الاجنبية ، لكي لا يقع لبس في فهمه ، ولكي لا اواجه بمثل هذا السؤال .. ولكنك في الحقيقة تود ان تسألني بطريق خفي ، وذكي ايضا « ما رأيك في القومية العربية ، هل انت موافق عليها ام لا ؟ » والسؤال كما ترى يا اخي خارج عن نطاق الدراسة التي كتبتها ، ورغم انه ليس من حقك لا انت ولا غيرك ان يسألني بهذه الطريقة فانني اجيب على سؤالك : يا اخي مطاع ، لقد قلت ان الرواية الشوفينية تضع المسألة باعتبارها صراعا بين قوميتين ، احداهما يجب ان تسود ، وانها تقسم الناس تبعا للاجناس وللاديان ايضا ، فتقول ان هذا جشع لانه يهودي ، وهذا عظيم لانه مسلم ، وتعتقد انه يجب ابادة بعض الاجناس وبعض السلالات لانها حقيرة ، فهل « القومية العربية بمفهومها التقدمي الاشتراكي » تعتنق هذه الرؤية ؟! ، ثم قف معي قليلا يا اخي مطاع لاسألك ، المفهوم التقدمي الاشتراكي للقومية العربية ، اين هو اليوم على المستوى الفكري ؟! ان الحركة القومية العربية الواحدة التي دعا اليها الرئيس عبد الناصر ، بهدف توحيد الفكر القومي التقدمي لم تنشأ بعد ، ولم تتضح معالمها ، وليس امامنا ، منهج فكري واضح في هذه المسألة سوى الميثاق الوطني المصري ، وانا شخصيا لا اعتقد ان الميثاق قد دعا الى التعصبية القومية ، ولا الى العرق والسلالية .. وغيرها ما يمكن ان نسميه الشوفينية » !!

وانا لا اعتقد ايضا معك بأن « الرابطة الحيوية القومية كانت تدفع بالعرب جميعا برجوازيين واقطاعيين وفلاحين ومثقفين الى معاناة الخطر العام الناجم من الغزو اليهودي يوما بعد يوم » !؟

لا يا اخي مطاع ، لماذا وقعت النكبة اذن ، اذا كان الاقطاعيون الفلسطينيون العرب قد عانوا الخطر ، فلماذا وقعت النكبة ، وهل الخيانات التي وقعت ، قبل الحرب واثناءها ، كانت خيانات فردية اذن ؟!.. هل ترى انه لو كان على رأس عرش مصر جمال عبد الناصر عام ١٩٤٨ ، والاقطاع على ما هو عليه ، والاستعمار رابض في القنال ، لما وقعت النكبة ، عزيزي مطاع ، هل هذا هو مفهومك للتقدمية الاشتراكية للقومية العربية .

٣ ـ ولقد اخذت على انني صدمت الوجدان القومي في بعض تحليلاتي ، دون ان تقدم لي يا اخي مفهومك لهذا الوجدان ، فربما تكون دعواك صحيحة ، انني اعترف انني صدمت الوجدان القومي الذي يعتبر ان القومية العربية حركة تعصبية اسلامية ضد القوميات الاخرى ، وضد الاديان غير الاسلامية ، هذا المفهوم اننا ضده ، وقد صدمته عن تعمد ، ولا ادري كيف تعتبر تفسيري للاضطهاد اليهودي صدمة للوجدان العربي، هل توافق على ان هذا الاضطهاد « عمل تقدمي اشتراكي » ام هل تنكره؟!

هل يستطيع احد ان يتناسى ما فعله هتلر باليهود .. وادعوك يا عزيزي مطاع لان تقرأ كتابا اسمه « رباط الحقد » ومؤلفته بولندية شابة اسمها « سيفيرنيا سماجلسكا » والكتاب يتحدث عن معسكر الاعتقال النازي « اوشفنتز » في الحرب العالمية الاخيرة ، لقد عاشت سيفيرنيا في هذا المعسكر سنوات من عمرها ، وشاهدت ما كان يفعله النازيون ، والاضطهاد المزري بكرامة الانسان وعقله وحياته ، ووجوده كله ، وهي تنهي كتابها بصيحة مليئة بالالم .. وبالثورة « ان ابار المساجين المجهولين الذين قتلوا هم آباؤنا واخواننا وكذلك اصدقاء الضحايا والتيامى ، كلنا اخوة ، ان الحقد يوحد بيننا ويربطنا جميعا ، الحقد على الحرب .. وعلى الذين يدفعون البشرية الى الانتحار » .

ان اي انسان شريف مثلي ومثلك يا اخي مطاع ، لا يمكن الا ان ينكر الاضطهاد اليهودي ، وقد فسرته التفسير الذي اراه صحيحا ، واوضحت ان اليهود لظروفهم الخاصة ، كانوا ضحية لعصور الانتقال التاريخية ، وانهم قد راحوا ضحية استغلال الاقطاع لقصة صلب المسيح، واكدت انهم لم يضطهدوا في البلاد الاسلامية ، ثم قلت ان هذا الاضطهاد قد انتهى فعلا لسقوط النازية ؟.. فكيف يصدم تفسيري هذا الوجدان القومي ، هل ترى يا مطاع ان اضطهاد اليهود ناجم من ان جنسهم « قذر » كتبت عليه اللعنة ؟! وهل ترى ان هذا الجنس الملعون يجب ان يباد من العالم ؟! .. وهل هذا الرأي في مصلحة قضية فلسطين ؟! هل تود ان تقدم دليلا جديدا للدعاية الصهيونية تقول به ان القومية العربية ضد اليهود ، وانها توافق على اضطهادهم ، وتراه عملا مشروعا ..!.. هل تنوي ان تطالب بانشاء « اوشفنتز » جديدة !.. ولقد نسيت بعد هذا ان نكمل رأيي ، فرغم انني فسرت الاضطهاد ، الا انني اوضحت ان الحل الحقيقي لاضطهاد اليهود لم يكن في الحركة الصهيونية ، وان اليهود قد فقدوا الرؤية الصحيحة لحل مشكلتهم وتحولوا الى عملاء للاستعمار ينفذون مخططه . وبرأيك ايضا انني قد صدمت الوجدان العربي عندما « برأت الجماهير اليهودية في فلسطين من موقفها العدواني » ولقد قلت « ان ان اكبر المساعدات التي قدمتها سلطات الانتداب البريطاني هو انها ـ وهي المكلفة بحفظ الامن والنظام في فلسطين قد انسحبت الى معسكراتها في الفترة من صدور قرار التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧ حتى انتهاء الانتداب وبداية الحرب اليهودية العربية في مايو ١٩٤٨ ـ وتركت اليهود والعرب في معركة ضارية تاركة ابواب معسكراتها لافراد العصابات الصهيونية لكي يسرقوا السلاح » واشرت الى دور المنظمات الارهابية التي انشأتها الصهيونية والى انحرافها اليميني وتعصبها ، وانا اطلب منك ان تدلني على جملة واحدة من المقال تقول ان اليهود في فلسطين لم يعتدوا على العرب !! فاذا وجدتها فانا اعتذر عنها .

وقد اوذي وجدانك ايضا بتفسيري للحرب الفلسطينية « وكأنها حرب مصطنعة دفعت اليها البرجوازية العربية للتخلص من بعض تناقضاتها الداخلية » . فرأيت انه كان الاجدر بي « ان اتذكر الاحداث، فأرى كيف ان الحكومات الرجعية قد دفعت دفعا من قبل الجماهير العربية لاعلان هذه الحرب ثم خانتها » . والواقع انني كنت افسر موقف الرجعية المصرية ، باعتبارها ابرز الوجوه في تلك الحرب ، بل ان مصر في الواقع هي التي كانت تحارب ، ومأساة « ماكو اوامر » لم تنس ، والانسحاب من اللد والرمله ليس بعيدا ، ولم تكن الجماهير المصرية في ذلك الحين قد ارتبطت بحركة القومية العربية ، وكل الذين كانوا يطلبون فعلا بدخول الحرب هم الجمعيات الدينية التي سارت مظاهراتها في الشارع تطلب ذبح اليهود والمسيحيين والدفاع عن دين الاسلام !! ثم ان استغلال الحكم الاقطاعي للمعركة وتضليله الجماهير لا ينفصل عن المعركة نفسها ، ان الحكم الاقطاعي قد عبأ فئات من الجماهير لكي يقول انه يدافع عن الاسلام ، فهو لا يستطيع ان يقول انه يحارب الاستعمار ، لانه كان يخشى ان تعود الجيوش من هناك لتحارب الاستعمار الذي يضربها في الظهر ، وهذا ما حدث فعلا ، وما عنيته عندما قلت ان « كارثة فلسطين كانت صحوة الموت للرجعية العربية » ، ولماذا نتصور

---

(١) راجع روز اليوسف القاهرية ـ العدد ١٨٦٣ في ٢٤ ـ ٢ ـ ١٩٦٤

اشياء لم تحدث ، ولا نسمع شهادة محارب من الذين اشتركوا في حرب فلسطين ، يقول جمال عبد الناصر في كتابه « فلسفة الثورة » (في فلسطين جلس بجواري مرة كمال الدين حسين وقال لي وهو ساهم الفكر شارد النظرات : هل تعلم ماذا قال لي احمد عبد العزيز قبل أن يموت ، قلت : ماذا قال ؟! قال كمال الدين حسين ـ وفي صوته نبرة عميقة وفي عينيه نظرة اعمق : لقد قال لي : اسمع يا كمال ان ميدان الجهاد الاكبر هو في مصر !.. » ويستطرد « وكثيرا ما قلت لنفسي : ها نحن أولاء هنا في الحجور محاصرين ، لقد غرر بنا ، دفعنا الى معركة لم نعد لها ، لقد لعبت باقدارنا مطامع وشهوات ومؤامرات وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح) .

ان الدول العربية التي دخلت فلسطين لتحارب ، كانت تحارب في الواقع الحركات الثورية داخلها ، ولا تحارب الصهيونية ، ومن هنا فان الجيوش العربية المحاربة في فلسطين كانت تضرب من الامام ومن الخلف، والحرب الفلسطينية لم تتم رغم انف الرجعية العربية ، ولم تدفع اليها هذه الرجعية دفعا من الجماهير ثم خانتها ، لقد رتبت الرجعية لها وهي مطمئنة تماما الى نتيجتها !

***

واقول لك يا اخي مطاع ، يبدو انك قد قرأت كتاب الحكم دروزه اكثر مما قرأت مقالي ، وانك تأهبت لمناقشتي بمسلمة اساسية هي انني لا بد واحد ممن تشملهم دراسة الحكم ، ورغم انني قد اتفق او اختلف مع الاخ « الحكم » في كتابه ، فان دراستي ، واقع موضوعي كان ينبغي مناقشته قائما بذاته ، مستقلا بكيانه ..

اما التهويمات التي انطلقت خلال مناقشتك ، فرغم ثوب الدقة المحاط بها ، وهو ما اشكرك عليه كل الشكر ، فقد آذت وجودي كله ، واكدت عندي انك رغم تقديري لك ـ لم تستطع ان تفلت من قبضة الظلام ، حيث تنطلق الكلمات الخفاشية ، ترفرف باجنحتها ، وتطلق اضواء كاذبة ، وتغني بصوت كرجع الصدى ، ولكنها تبشر بالخراب .. وفي الصباح ، تعمر الخرائب ، وتختفي الخفافيش ، فتنطلق الكلمات الصادقة ... تتجادل ، وتتصارع ، منطلقة اساسا من حب حقيقي لبسطاء الناس ، والتحام صادق بمشاكلهم ، وامنياتهم ، قد تختلف ، ولكنها تنطلق من ارض واحدة !..

شكرا يا اخي مطاع . وقلبي معك !

القاهرة — صلاح عيسى

حول مقال
« في اصول المسألة الفلسطينية »
بقلم : صدقي البيك

نشر الاستاذ صلاح عيسى في العدد الثالث الخاص بفلسطين مقالا اراد فيه ان يفهم الجماهير العربية القضية الفلسطينية من داخل اطارها ، وذلك ببحث المفاهيم الخاطئة ، في نظره ، التي قامت عليها القضية الفلسطينية ، وليضع اخيرا المفهوم الذي يجب ان تعالج القضية طبقا له ، فهو يرى انها تنبغي الا تعالج بمفهوم ديني ولا بمفهوم قومي « فهذا يبعد بنا عن جوهر المسألة الصهيونية الاصيل ... الاستعمار العالمي..» ص ٣٦ ، ولذلك فهو يريد ان يحصر المفهوم في ان « خطورة اسرائيل الحقيقية انها قاعدة استعمارية تمثل الفكريات السائدة فيها امنيات الاستعمار العالمي . » و « انها دولة عميلة للاستعمار العالمي الذي يعيش في شبه مأزم باحثا عن اسواق !! » ص ٤٢ . وهو عندما يتكلم عن ظروف بداية الصراع بين العرب واليهود يحاول ان يظهره بمظهر الصراع الاقتصادي !! فيزعم ان « الرأسمالية العربية الناشئة في فلسطين تريد ان تكون اقتصاديات فلسطين جميعا في مجال الاستغلال .» ص ١١٣ وبالتالي فان هذه الرأسمالية مدعومة بالنظم الاقطاعية « بدأت تشكل احزابها السياسية » لتحارب الاحتلال الصهيوني !! ثم هو يحاول ان يضع الطبقة العاملة في فلسطين في صف بعيد عن هذه الاحزاب .

لا ينكر احد ان اسرائيل دولة عميلة للاستعمار وانها جسر للدول المستعمرة ولكن الاصرار من الكاتب على هذه الناحية ومحاولة ابراز المعركة بوجهها الرأسمالي وابتعاد العمال عن الرأسماليين والاقطاعيين (مع عدم صحة هذا التقسيم وهذا الابعاد) والطعن في المفهوم الديني والقومي ، يكاد يشف عن معالجة غير نابعة من صميم العرب ، وتكاد هذه الشفافية تصطنع بلون ما . ويؤكد هذا ذلك الدفاع الشديد عن الحركة الشيوعية ونفي سيطرة اليهود عليها فهو يقول « لقد اعلن الفكر الماركسي موقفه من قضية القومية اليهودية منذ بدء ظهوره فكتب ماركس كتابه « المسألة اليهودية » وقال لينين « ان الحركة الصهيونية حركة خاطئة ورجعية ... » وقال خروتشوف « من غير الصحيح اتهام الشيوعيين بانهم يعملون ضد مصالح الشعوب الوطنية ، ومن السذاجة ايضا وضع الشيوعية والصهيونية على صعيد واحد . فمعلوم تماما ان الشيوعيين ، ومنهم شيوعيو اسرائيل ، يناضلون ضد الصهيونية . » ص ٣٥ . فالقضية اذن قضية دفاع عن الشيوعية وبهذه الحرارة ، وبالتالي فان الكاتب ينظر الى الاستعمار على انه كل ما ليس شيوعيا ، وبهذا يختلف عن مفهومنا نحن الفلسطينيين والعرب عامة للاستعمار ، ومن هنا نستطيع ان نقول : انه ينظر الى القضية من وجهة النظر الشيوعية لا من وجهة النظر العربية ويوضح ذلك انه في ص ٣٦ يحدد القوى التي شكلت جزور المسألة فيقول : « فنحن امام الصهيونية ... ونحن امام الاستعمار العالمي في مرحلة الامبريالية ... ونحن امام الواقع الفلسطيني في مرحلة النمو الرأسمالي والانفلات من اسر الاقطاعية .... »

اننا لا نحارب اسرائيل لانها جسر للاستعمار فحسب ، بل اننا نحاربها ايضا واولا لانها اغتصبت بلادنا كما كنا نحاربها ونحارب الانكليز قبل الجلاء ، فلو ان قوى ما في اسرائيل استطاعت ان تبعدها عن ان تكون جسرا للاستعمار الغربي ، وبتعبير اوضح ، لو قدر للشيوعيين في اسرائيل استلام الحكم ، انتوقف عن حربها ؟ ابدا . اننا نحاربها ما دامت مغتصبة لارضنا سواء كانت عميلة لاستعمار غربي او غير غربي أو كانت حيادية ، ونحارب من تكون هي عميلة له .

وكاتبنا يدافع عن الشيوعية فيصفها « بالفكر التقدمي » ويأخذ على العقاد عداءه للشيوعية فيقول : « ويحاول الشوفينيون استغلال العداء للصهيونية ـ باعتبارها حركة عميلة للاستعمار ـ لاخفاء عدائهم للفكر التقدمي » ص ٣٥ وذلك لان العقاد يرى « ان الصهيونية قد اشتركت في كل حركة من حركات الهدم والتدمير واخر ما اشتركت فيه حركة الشيوعية في العصر الحديث . »

ومن اجل ان يصل الكاتب الى غرضه هذا من طرف خفي لجأ اول الامر الى تحطيم المفاهيم الاخرى التي يمكن ان تحارب من خلالها الوجود الاسرائيلي ، فجعل نشوء المفهوم الديني في الفكر السياسي « نتيجة طبيعية للاوضاع الاقطاعية للعالم العربي . » ص ٣٤ ، ويبدو ان هناك شيئا ضايقه في القيادة الدينية للحركة الوطنية في فلسطين فاعتبرها مدفوعة « بالمصالح الاقطاعية » !! وآلمه ان تسعى هذه القيادة الى عقد المؤتمرات المتعددة لجعل قضية فلسطين قضية المسلمين في انحاء العالم وكسب التأييد في البلاد المتعددة للقضية .

لماذا نرفض ان تكون قيادتنا دينية ؟ هل تحركت قيادة اخرى ؟ هل انطلقت معظم ثوراتنا في فلسطين الا من هذه القيادة ؟ انقول للشيخ عزالدين القسام : انك اسأت لانك عالم دين تثور على الانكليز واليهود ، اخلع لباسك وانزع عن نفسك صفة الدين ثم ثر !؟ والاستاذ صلاح عيسى نفسه يريد ان يزيد عدد الذين يؤيدوننا ويساعدوننا فلماذا يأخذ على من يعقدون المؤتمرات لنصرة فلسطين هذه الفكرة ؟ ألانها دينية نحاربها ولا نحاربها اذا كانت تهدف الى الاستعانة بالشيوعيين ؟

فنحن بحاجة الى كل عون مادي ومعنوي سواء كان دينيا او شيوعيا شرقيا او غربيا . ولا ينكر احد ان القدس مدينة مقدسة عند المسلمين والمسيحيين فلماذا لا تكون قضية تحريرها تهم كل واحد منهم طالما انها مقدسة عندهم ؟ ان المسلم مهما بعدت به الدار عن فلسطين او ابعدته لغته عن اهل فلسطين فهو يريد لهذا البلد ان يحكمه العرب ويطهروه من اليهود . ولماذا نستكثر على انفسنا قيادة دينية ونعجب بالقيادة الدينية عند جيراننا ؟ لماذا نعجب بقيادة مكاريوس الدينية وننعى على الفلسطينيين قيادتهم الدينية مع ان الظروف في قبرص اقسى منها في فلسطين ؟

ولا يكتفي الكاتب بالنعي على القيادة الدينية وان يحاول ان يبرز اخطارا للفهم الديني ، فهو في رأيه خطر « لانه يخلق للشعوب العربية والشعب الفلسطيني حلفاء وهميين فهو يضع في صفه ٤٠٠مليون مسلم» ص ٣٤ ، وهكذا فهو يرى هذه الملايين وهمية مع انها ضحت بشيء من المال وحارب بعضها في فلسطين ، وايدوا كل قضية عربية بالاحتجاج والتظاهر والوقوف جنبا في المحافل الدولية ، ولكن الاذن التي لا تريد ان تسمع والعين التي لا تريد ان ترى لا تستطيعان ان تتحسسا اهمية هذا التأييد ووجوده . ثم ان القضية الفلسطينية ليست قضية تأييد عددي بل هي بحاجة الى تأييد ينبع من عقيدة تعتبر قضية فلسطين قضيتها ، وهؤلاء الملايين لا يؤيدوننا ردا لجميل من لنا عليهم في الحاضر جميل ولا يؤيدوننا تبادلا للمصالح وانما هم يعتبرونها قضيتهم بالذات ، ولست في معرض ذكر تصريحات المسؤولين منهم والشعبيين ، فهي كثيرة لا اعتقد أن الكاتب يجهلها وقد القي بعضها على مقربة منه يوما ما .

وادهى من ذلك انه يحتج على القيادة الدينية متهما اياها بالخيانة بقوله : « بل ان القيادة الدينية التي كانت تقود حركة التحرر القومي العربي خلال الحرب الاولى وبعدها قد وافقت على خيانة الشعب الفلسطيني » ص ٣٤ ويذكر موافقة فيصل الاول على انشاء دولة يهودية في فلسطين . اي منطق هذا الذي يحاسب المسلمين بأخطاء الخارجين على مفهوم الاسلام فيعتبر فيصلا زعيما دينيا للعرب ويحمل مسؤولية خيانته هذه للمفهوم الديني وكأن هذا المفهوم يدفعه الى الخيانة ؟! لماذا لم يذكر الكاتب جهاد القيادة الدينية في فلسطين طوال ٤٠ سنة ؟ لماذا لم يتذكر الشيخ عزالدين القسام وحسن سلامة الخ ...؟ لماذا يذكر فقط « ان الخيانات التي مني بها الشعب الفلسطيني قد نبعت من مسلمين » ص ٣٤ ؟! الا تبا للنوايا السيئة وراء هذا الكلام تلك النوايا التي تريد ان تشعر القارىء ان المسلمين في فلسطين كانوا خونة قيادة وافرادا .

ويذكر مظهرا اخر لخطورة المفهوم الديني فيقول « كذلك يعزل هذا الفهم قوى الشعب الفلسطيني غير المسلم عن النضال » من قال للكاتب ان ذلك واقع نظريا وعمليا ؟ فقد اشترك من كان يريد من غير المسلمين، في الثورات التي قامت في فلسطين ، وما كانت هذه الثورات تعزل تلك القوى اطلاقا واكبر دليل على بطلان ما يدعيه الكاتب ان القيادة المتمثلة في مفتي فلسطين تنقض في واقعها العملي هذا الادعاء باعتمادها على قوى المسيحيين الذين لا يعزلون انفسهم عن القضية ، ومن الناحية النظرية من قال للكاتب انه لا يمكن ان يتعاون الناس على اختلاف اديانهم طالما ان عددهم مشترك ؟ وما المانع ان يؤجج الدين اسلاما كان او مسيحية ما في النفس فيكون الدافع اقوى لمحاربة اليهود والصهيونية؟ وليكن معلوما لدى الكاتب أن هناك فرقا بين ان تعزل (بالبناء للمجهول) بعض الفئات وبين ان تنعزل هي من ذاتها ، ولقد عزل كثيرون من المسيحيين ، ومن المسلمين ، انفسهم عن المعركة لا لان القيادة او الفهم الديني عزلهم ولكن لانهم هم عزلوا انفسهم ، ووصل الامر عند بعضهم ان يعملوا في صفوف الانكليز واليهود ، والامثلة ماثلة حتى الان بالنسبة للفئات التي استمرأت البقاء في فلسطين المحتلة والتعاون الكامل مع اليهود .

ويرى الكاتب ايضا ان الفهم الديني « يعزل في نفس الوقت القوى المعادية للاستعمار عن المعركة سواء أكانت هذه القوى دولا او قوى اجتماعية . » ص ٣٤ . ان الواقع يكذب ما يذهب اليه الكاتب ، فان اختلاف المفهوم عند قوتين او دولتين لا يمنعهما من محاربة عدد مشترك لهما ، فلقد تعاونت الدول الشيوعية والرأسمالية في محاربة العدو المشترك لهما ، نازية هتلر ، وكذلك ايدت الدول الشيوعية الدول العربية في محاربتها للاستعمار مع الاختلاف في المفهوم بينهما لان الاستعمار عدو مشترك سواء حاربناه بالمفهوم القومي او الديني او الوطني ، وكذلك ايدت الدول الشيوعية مكاريوس في حرب تحرير قبرص وهو زعيم ديني . والذي يريد ان يؤيدنا في حربنا لاسرائيل ويفرض علينا في نفس الوقت الا يكون بين فهمنا وفهمه للقضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية اي اختلاف هو واهم ، فهو اذا كان قوة معادية للاستعمار ورآنا نحاربه ونحارب الصهيونية عميلته يؤيدنا لالتقائه معنا في الطريق الى شيء معين ، والواقع ان العلاقات بين الدول قائمة على المصالح اكثر من قيامها على المفاهيم .

ويأتي اخيرا الى عرض مسؤولية الفهم الديني في تعقيد قضية فلسطين فيقول « وكان الفهم الديني هو المسؤول عن عدم تحويل المسألة الفلسطينية الى مسألة ممكنة الحل في بعض الظروف ... » ص ٣٤ فهو اذن يحمل على الفهم الديني عدم قبوله للحلول التي عرضت على بساط القضية في الاوساط الدولية ، واي فخر يمكن ان يعتز به الفهم الديني اكبر من هذا الفخر ! ان الفهم الديني لا يقبل انصاف الحلول بالنسبة لقضيته الرئيسية ، انه لا يقبل « بانشاء دولة ديموقراطية في فلسطين » يشترك فيها العرب واليهود كما يرغب الكاتب الاستاذ صلاح عيسى ، وهو ينسب هذا الرأي الى « القوى الديموقراطية في فلسطين والبلاد العربية » فيقول « تحولت الحرب الى حرب دينية رهيبة ، الامر الذي منع القوى الديموقراطية في فلسطين والبلاد العربية من فرض رأيها بوجوب انهاء الانتداب البريطاني وانشاء دولة ديموقراطية في فلسطين » ص ٣٤ . انني اتساءل : ما هي هذه القوى الديموقراطية ؟ ومن يقصد بها الكاتب ؟ وما هو وزنها حتى تفرض رأيها؟ واي مصلحة للعرب من اقامة حكم ديموقراطي بالاشتراك مع اليهود ؟ ان التخلص من الانتداب جزء من هدفنا نحن ، واما الكاتب فان هذا الامر هو كل ما يهدف اليه فما السبب ؟ لعله يريد ان يصفو الجو لمنتدب اخر !! فيعمل عن طريق عملاء مخلصين له من العرب واليهود . ويوضح فكرته هذه في مكان اخر ص ١١٤ فيقول « وقد حاولت قيادة الطبقات

صدر حديثا :

تأليف

الدكتور عبد الجبار الجومرد

داهيـة العـرب

ابـو جعفـر المنصـور

مؤسس الدولـة العباسية

الناشر ـ دار الطليعة ص. ب ١٨١٣

الشعبية (!!) التي ظهرت خلال الحرب العالمية الثانية ان تقدم حلا عمليا للمسألة فطالبت بالغاء الانتداب وانشاء حكومة ديموقراطية وطنية في فلسطين تمثل جميع سكانها عربا ويهودا . » ان العرب رفضوا ان يتعاونوا مع اليهود في حكم البلاد يوم كانت نسبتهم اقل من ١٠٪ فكيف يقبلون هذا التعاون بعد ان اصبحت نسبتهم بعد الحرب الثانية اكثر من ٣٠ ٪ ؟

والثورات الفلسطينية المتعددة ما كانت لتميز بين عدوين متعاونيين يدعم احدهما الاخر الانكليز والصهيونية ، فكانت الثورات المسلحة الاولى توجه ضد الانكليز اكثر مما توجه ضد اليهود وبالتالي فان الحركة الوطنية في فلسطين لم تتحول عن حرب الاستعمار اطلاقا ، ولم تتخل عن حربه اطلاقا ، وليس صحيحا اذن قول الكاتب الذي يأخذه من كاتب مماثل له هو المحامي صادق مسعد وهو ان « الحركة الوطنية تحولت من حركة سياسية ضد الاستعمار الى حركة دينية وعنصرية ضد اليهود». وهو يقول هذا الكلام سنة ١٩٤٥ في الوقت الذي لم تكن الحرب قد وجهت ضد اليهود بشكل رئيسي ، ومن الناحية السياسية فان الحركة الوطنية لا زالت حتى الان تحارب الانكليز وتحملهم مسؤولية اقامة الكيان الاسرائيلي وتشريد اهل فلسطين منها .

ولم يكن للكاتب بد من ان يدلي بدلوه في حل قضية فلسطين ويقترح حلولا عملية اخرى بعد ان يئس من تطبيق حلول القوى الديموقراطية !! والقيادات الشعبية !! ، فهو بعد ابراز اسفه على « القضاء على امل انشاء دولة ديموقراطية تضم العرب واليهود » يقترح علينا حلولا يظن انه صاحبها ، ونحن نعلم من هو صاحبها ، فيقول «ومن هنا كان التقسيم هو الحل المعقول » !! ص ١١٤ ثم ينعى على الدول العربية رفضها للتقسيم . لقد قالت بهذا الرأي القوى الديموقراطية منذ عام ١٩٤٨ م وكان الرد الفلسطيني والعربي الجماهيري قاسيا ولا يزال . ان كل فلسطيني لا زال يرفض التقسيم وكل حل يعطي اليهود وجودا ما في فلسطين .

فيا ايها المقترحون لتكن اقتراحاتكم العملية نابعة من واقع امتكم وليكن عملكم وكتابتكم لمصلحتها حتى تجدوا آذانا تسمع وقوى تستجيب.

حمص — صدقي البيك

رد على نقد

بقلم محمود البستاني

حين قراءتي نقد الدكتور عز الدين اسماعيل لقصائد العدد الثالث، وقفت على تقسيمه لمجموعة القصائد الى قسمين (قسم تغلب عليه الضبابية ويوحي بتمزق التجربة وقسم اخر فيه وضوح وشفافية وتماسك) ، وبعد ان يعترف بان الشعر يقبل الجو الضبابي ، كما يقبل الشفافية ، وان المسألة ترجع الى طبيعة الشاعر وطريقته في الاستجابة للخيال ، يعود بعد ذلك فيقول « ليس من حق احد ان يطلب من الشاعر نزع الغلاف الضبابي الذي يحيط بعمله الفني » . وحين ينكر الناقد الكريم حق المطالبة من الشاعر في الابتعاد عن اجوائه الضبابية ، يؤكد ان كثيرا من القصائد الضبابية تنجح في خلق الاثارات « ولكن الضبابية المتكلفة لا لشيء بل للايحاء بان وراءها شيئا ثمينا يستحق العناء لا يمكن قبوله بحال من الاحوال » . وانطلاقا من هذه الزاوية يسوق مثالا من قصيدتي (هي وايار والشتاء) ليدلل بان ضبابيتها توحي بتمزق التجربة ، والضوء الذي يسلطه على اشلاء التجربة الممزقة ، هو توقعه لاستقبال الرؤى المخيفة عبر الليل الداجن والريح العاوية في البيت الاول ، ولكن توقعه يصطدم بتجمد النهار في عيني الشاعر ، ولا ادري كيف ان الناقد الكريم يعتبر تجمد النهار نقلة مفاجئة تعترض طريق الرؤية وتعطلها ؟ .. لعندما تحدق العين ، وعواء الريح الهادر من مسافات الدجى يثقل اهدابها ، حينئذ يتجمد صحو نهار الشاعر تحت وطأة هذا الثقل ، يتجمد لحظة انهمار رؤى الليل .. اين الصورة الطارئة في هذا ؟! .. ولا اعتقد ان هذه الصورة تمنع السياق النفسي من ان يتسق تماما كما يتفضل الناقد الكريم بعد ان يتضح ان صحو النهار يغيم في اللحظة التي تتكدس فيها رؤى الليل المأساوي .

وقد تصح وجهة نظر الناقد بالنسبة لهذه النقطة بالذات ، ولكن لا اعلم كيف يتقبل ان يثير نقطة اخرى لا يمكن ان يتقبلها اي ناقد مهما تباينت وجهات النظر ، فهو يعتبر رؤية عيني الشاعر لشبح ينزوي وراء غابات الشجو ، رؤية متسقة ، لان كثافة الاسى الكامن في النفس ، يجعل المرئي شبحا غير محدد المعالم ، .. يعتبر هذا جميلا ، ولكن لم يرق له — فيما بعد — ظهور هذا الشبح الذي لم ينعكس على الرؤية في مجملها .. ولكن اذا كان الامر معكوسا تماما ، على خلاف ما يتصوره؟ وهذا ما ابينه الان .. فقد تفضل الناقد موضحا باني ما ان تحدثت عن مجيء الشبح عبر رؤى مشلولة الخطو ، حتى تركته بلا مبرر ، لكي اتحدث كيف ان هذه الرؤى تحمل لي لسعات الدجى التي تهجس في النفس عن (ازمات العالم المرتشي) ، حتى انه اخذ يستعين بالله متسائلا « أكان ادراك ازمات العالم المرتشي بحاجة لكل هذه الرؤى والتهاويل ؟ » واجيب على ذلك : بلى : بحاجة لكل هذه الرؤى والتهاويل ، بحاجة الى اكثر من ذلك ، واذا سمح لي ، اقول بان هذه الرؤى والتهاويل تقف مقصرة في اطلالتها امام ازمة العالم المرتشي ضميره عندما قدم (فلسطينا) لقمة سائغة لشذاذ الافاق ، ومن حق هذه الرؤى الحاملة لسعات الدجى المأساوي ان تهجس في النفس وتهمس في هياج لضياع البقعة التي طالما اشرق النهار عليها ، صاحيا بامال ابنائها المشردين ، .. ولماذا يستكثر على الشاعر حاجته الى الرؤى والتهاويل عبر ادراكه لازمات الضمير المرتشي ، أيبخل عليه حتى بالرؤى؟

ان ادراكه — واقولها مرة اخرى — بحاجة لاكثر من هذه التهاويل، واذا كان انفتاح مأساة كهذي ، امام عيني الشاعر لا تحتاج الى مثل هذه الرؤى — وهي اضعف الايمان — كما يقال — فاي حدث اضخم من ادراك مأساة الارض السليبة ، في نظر الناقد الكريم ، يستحق ان يحتاج الى رؤى وتهاويل واسى في النفس ؟ اترك هذا لتقدير القراء .

على ان الناقد الكريم — عودا على بدء ما اثاره في صدر نقده — لو قرأ المقطع الثاني من القصيدة لادرك ان هذه الرؤى والتهاويل تتجسد في الاضلاع المقرورة الزاحفة في صمت الليل ، وفي طفرة الاشباح ، اشباح طفل جففت لهاثه دهياء في الجو ، وصراخ عارية امام كنائب السيل التترية التي لم تتكمش عن هادر اللغو .. ، كل هذه الرؤى زحفت على متن الدجى وحملتها الريح عندما حدقت عينا الشاعر وادركتا ازمات العالم المرتشي ، والذي رش الافاق بزخة هذه الرؤى والتهاويل ... وهنا اتساءل اخيرا .. هل ان هذه ضبابية متكلفة لا لشيء الا للايحاء بان وراءها شيئا ثمينا يستحق العناء ؟ الذي يبدو ، بعد ما تقدم — انه يستحق العناء بالفعل ، واذا استحقه فلا نكون — بالتالي — امام ضبابية متكلفة كما انتهى الى ذلك الناقد الكريم ... واذا عرفنا ان الناقد يعتبر — في ثنايا نقده — العمل الفني وحدة متسقة لم يتأطر بالصور الجزئية ما لم تترابط عضويا وينظر اليها كبناء عام ، ككل ، فان المقطع الثاني يرتبط في تجربته الخاصة ،وينتمي معاناة الى المقطع الاول . فكيف يسمح لنفسه ان يستل بعض الصور من دون ان يعكسها على الرؤية في مجملها — خلافا لما يؤكد عليه — ؟ والذي اخاله ، ان الوحدة العضوية — بعدما تقدم — اذا لم تتماسك على النحو المطلوب خلقا ، فانها — على الاقل — لم توح بتمزق التجربة على النحو الذي حكم به الناقد الكريم .

بغداد — محمود البستاني